

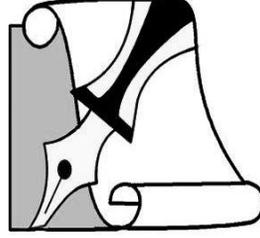


مركز البحوث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقرير نمف الشهري

تحليل للتطورات السياسية
والأمنية في «إسرائيل»

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com



**باحث للدراسات
ال فلسطينية وال استراتيجية**

تحليل نصف شهري للتطورات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

أهداف المركز الرئيسية:

- ١ - إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمم.
- ٢ - الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.
- ٣ - بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.
- ٤ - إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

موقف العدو الإسرائيلي من انتصار المقاومة في الجرد

١- إرهابات المعركة:

نشرت رئيسة قسم الإعلام في الجامعة العبرية، اميلان ناحوم، يوم ٢٤ تموز ٢٠١٧ تحقيقاً مهماً تحت عنوان: على من راهن الأمير أبو مالك التلي وما سرّ الحياض الإسرائيلي في معركة جرود عرسال التي دارت رحاها بين حزب الله وجبهة تحرير الشام فرع القلمون؟. وردّت قائلة في المقال عينه، الذي نُشر في موقع (ISRAEL TIMES): لقد تيقّن أبو مالك التلي منذ شهر أيار أنّ هناك مشروع حرب يُعدّها حزب الله للقضاء على وجود "جبهة تحرير الشام" الإرهابية في منطقة انتشارها في القلمون السوري واللبناني، وبالأخصّ في مدينة عرسال اللبنانية التي تعتبر الحاضنة الأساسية للجبهة وكذلك قوات تنظيم "الدولة الإسلامية" الإرهابي الداعشي. منذ ذلك التاريخ تحرّك أبو مالك التلي واتّصل بأمين عام الجبهة أبي محمد الجولاني الذي هبّ لدعمه بالرجال المدربين جيداً عبر البادية السورية الواقعة تحت سيطرة داعش. وهو أرفده بـ ٧٥٠ عنصراً من جبهة تحرير الشام الإرهابية، من المقاتلين الذين تدرّبوا في معسكر غيلان آغا في تركيا. وكذلك وصلت كميات من الأعتدة والأسلحة وبالأخص الصواريخ الموجهة، لكن أبا مالك لم يترك الأمر عند هذا الحدّ بل اتّصل بالحكومة الإسرائيلية عن طريق مكتب جبهة تحرير الشام في الأردن، حيث قام يوسف البشوي مسؤول مكتب الجبهة هناك بالاتّصال بالسيد مروان المعشر أول سفير أردني في إسرائيل بعد توقيع اتفاقية وادي عربة عام ١٩٩٤ بين إسرائيل والأردن. وبالفعل قام الدكتور المعشر بزيارة سرّية إلى إسرائيل حاملاً رسالة أبي مالك التي يطلب فيها قيام سلاح الجو الإسرائيلي بتوجيه ضربات مدّمة لحزب الله فور قيام الحزب بشنّ حرب على جبهة تحرير الشام في عرسال، وهكذا تكون إسرائيل قد انتقلت من حرب تموز ٢٠٠٦.

وبالفعل حصل الدكتور المعشر على ردّ إيجابي من وزير الدفاع الإسرائيلي أفيغدور ليبرمان بأنّ إسرائيل سوف تقوم بدعم حركة تحرير الشام. وتمّ تشكيل فريق من رئيس أركان الجيش الإسرائيلي الجنرال بيني (بنيامين) غانتس والجنرال امير ايشيل قائد، القوة الجوية الإسرائيلي ورئيس الموساد يوسي كوهين. وانكبّ هذا الفريق على متابعة التطوّرات على ساحة عرسال عبر القمر الصناعي عاموس ثلاثة الخاص بالتجسس. وكانت تصل الفريق صور القمر الصناعي على مدى ٢٤ ساعة. وتمّ رصد تحرّكات حزب الله في منطقة القلمون بجانبها السوري واللبناني. كما حصلت إسرائيل على ضوء أخضر من المملكة العربية السعودية والإمارات وقطر والبحرين والكويت والأردن والمغرب ومصر بأنها لا تمنع سحق حزب الله، بعد أن أطلعتها الحكومة الإسرائيلية بطلب جبهة تحرير الشام الذي نقله الدكتور مروان المعشر إلى الحكومة الإسرائيلية، وأنّ الفرصة مؤاتية من دون أن تكون هناك ردود أفعال دوليّة أو إقليميّة. وقد قام وفد يضمّ كلاً من الجنرال عبد الرحمن البنيان، رئيس أركان الجيش السعودي، والجنرال أحمد حسن عسيري، مستشار وزير الدفاع السعودي الأمير محمد بن سلمان، ورئيس أركان الجيش الإماراتي، الجنرال محمد حمد الرميثي، والجنرال مشعل الزين، رئيس أركان الجيش الأردني، والجنرال محمد خالد الخضر، رئيس أركان الجيش الكويتي، بزيارة سرّية إلى تل أبيب عن طريق جوهانسبورغ في جنوب أفريقيا. وتكفّلت كل من السعودية والإمارات والكويت بتمويل العملية التي تخطّط لها القيادة العسكرية الإسرائيلية من أجل توجيه ضربة ساحقة لحزب الله في حال قيام الحزب بمهاجمة جبهة تحرير الشام. وقد قدرّت القيادة العسكرية الإسرائيلية تكلفة العملية بين ستة وثمانية مليارات دولار أميركي. وواصل الفريق الإسرائيلي المكلف بالإعداد للعملية متابعة مجريات الأمور

وأماكن وجود جبهة تحرير الشام وتحركات حزب الله وما يخطّط له، وكان رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو يتابع التقارير التي تصله يومياً من الفريق المكلف بالعملية. وفي يوم السبت ٨ تموز ٢٠١٧؛ وهو يوم عطلة في إسرائيل، طلب السفير الألماني في تل أبيب مقابلة وزير الخارجية الإسرائيلي على عجل، ووصل السفير إلى بيت وزير الخارجية والدفاع الإسرائيلي أفيغدور ليرمان وسلّمه رسالة من وزير الخارجية الألماني زيغمار غابرييل. والرسالة هي رسالة تحذيرية من السفير الألماني في بيروت بعد أن اجتمع مع أحد أعضاء قيادة حزب الله، والذي حدّر السفير الألماني في بيروت من أنّ حزب الله مقدم على عملية اقتلاع الإرهاب من القلمون وعرسال وأنّ أي تدخل من إسرائيل لصالح الإرهابيين يعني إعلان حرب من قبلها على حزب الله، وأنّ الحزب سوف يردّ بفتح جميع الجبهات بوجه إسرائيل ولا يوجد هنا هدف في إسرائيل ممنوع على الحزب، وسوف تتحمّل إسرائيل نتائج ما تقدّم عليه. وأضاف القيادي في حزب الله مخاطباً السفير الألماني في بيروت: "نحن نقوم بتطهير أرضنا من الإرهاب ولن نتأخّر بتنفيذ هذه العملية، ولا يوجد في العالم من يمنعنا من ذلك. نحن نحارب الإرهاب، فإذا كانت إسرائيل تنوي القيام بأي عمل ضد حزب الله فإنها سوف تجني ما لم تتوقعه من حزب الله. ونحن في عام ٢٠١٧ وبالتأكيد نتائج حرب تموز في ٢٠٠٦ يعرفها الإسرائيليون جيداً. وكذلك المعادلة تغيرت كثيراً، إذ نحن في شهر تموز ٢٠١٧ وإن كل كيلومتر مربع في إسرائيل تحت مرمى صواريخ حزب الله. يا سعادة السفير، نحن نحترمك كثيراً. قم بواجبك قبل فوات الأوان وقبل أن ترتكب إسرائيل حماقة لا تعرف نتائجها إطلاقاً وسوف تكون كارثية عليها. هذا تحذير ولا كلام آخر عند حزب الله".

بعد تسلّم الوزير ليرمان الرسالة اتّصل برئيس الوزراء بنيامين نتنياهو وطلب لقاءه على الفور لأمر خطير جداً. وتوجّه الوزير إلى بيت نتنياهو وسلّمه الرسالة. وفي اليوم التالي نهار الأحد ٩ تموز، وأثناء الاجتماع الاعتيادي لمجلس الوزراء الإسرائيلي أطلع بنيامين نتنياهو المجلس على رسالة وزير الخارجية الألماني، وخصّصت جلسة مجلس الوزراء لمناقشة الرسالة وأخذ القرار. وأقرّ مجلس الوزراء بالإجماع إنهاء مخطّط دعم جبهة تحرير الشام وسقط رهان أبو مالك التلي وانفتح طريق التحرير أمام المقاومة الإسلامية.

٢ - منطق المقاومة ومنطق خصومها:

أوضح نائب الأمين العام لـ "حزب الله" سماحة الشيخ نعيم قاسم للقريب والبعيد منطق المقاومة في عملية التطهير بقوله: "إننا لو لم نقاتل في سوريا كنا سنقاتل في كل بيت لدينا وفي كل قرية ومدينة في لبنان. وجدنا أنه خير لنا أن نذهب إليهم قبل أن يأتوا إلينا، ذهبنا إلى سوريا لنقاتل في الحديقة الخلفية قبل أن يصلوا إلى البيت، ولنمنع تقدّمهم، ونجنا بحمدالله مع محور المقاومة أن نكسر قدرة وشوكة التكفيريين ومن وراءهم، بل من النتائج العظيمة أن هؤلاء لم يُكسروا فقط بل تشتّت جمعهم وقاتل بعضهم البعض الآخر وبدأت الدول الكبرى تتخلّى عنهم لأنهم لم يؤدّوا الوظيفة المطلوبة كما تصوّروا، وكانت النتيجة نصراً تلو انتصار في مقابل هزيمة تلو هزيمة عند التكفيريين ومن وراءهم". وفي ذكرى مرور أسبوع على استشهاد أحد مجاهدي الحزب في مجعّ المجتبى قال الشيخ قاسم: "ما جرى في مواجهة التكفيريين في جرود عرسال هو أوضح تطبيق لمعادلة الجيش والشعب والمقاومة، نحن لم نطلق معنى الثلاثية لنتغنى بها أو لنرسمها لوحة نزيّن بها بيوتنا. المعادلة الثلاثية هي حياة بالنسبة إلينا، الجيش والشعب والمقاومة كانوا حاضرين في معركة جرود عرسال، المقاومة تقاتل على الأرض بشكل مباشر، والجيش يشكّل السند والداعم والمانع لهؤلاء أن يدخلوا إلى الأراضي اللبنانية، والشعب يقدّم كل أشكال الدعم الإعلامي والسياسي والعملية من أجل أن تتكامل الحلقات الثلاث، وكانت النتيجة هذا النصر الكبير الذي حصل في جرود عرسال، ويسجّل أنه من أروع الانتصارات، وأكثرها وضوحاً وبهجة ولياقة وتقديماً للأحرار في العالم ليتعلّموا من هذه التجربة". وأضاف قاسم: "هذه المعركة أنهت جبهة النصر من بوابة لبنان ومن لبنان، وأنهت بالتالي حلم الإمارة التي كانوا يحلمون بها منذ

سنة ٢٠١٤. بمعنى آخر انتصار جرود عرسال ليس انتصاراً فقط على مجموعة محتلة مُعتدية أنت من الخارج من أجل أن تدخل بلدنا وتنتشر فيه الفساد، بل أيضاً هو قطع لجذور كان يمكن أن تدخل داخل النسيج اللبناني لتؤثر فيه". وأكد أنّ "ما حصل أثبت مجدداً أننا عملنا كحزب الله بحكمة ووعي من اللحظة الأولى للمعركة، قلنا لا علاقة لعرسال، عرسال ومخيماتها جزء من الدولة اللبنانية وسيادة الدولة اللبنانية، معركتنا في جرود عرسال لإعادة هذه الجرود للدولة اللبنانية". ذلك أنه مع غياب الدولة، وعجز السلطة السياسية المتناحرة عن اتخاذ قرار لحماية السيادة والمواطنين من إجرام الإرهابيين، لم يعد من حامٍ للبلاد سوى المقاومة، بدماء أبنائها، وبخبراتها المتركمة منذ أكثر من ثلاثة عقود".

وشدّد نائب رئيس المجلس التنفيذي في حزب الله، الشيخ علي ديموش، على أنّ "جبهة النصر كانت تحتلّ أرضاً لبنانية معترف بلبنانيّتها وليس أرضاً متنازعا عليها، فجرود عرسال ووادي الخيل ووادي حميد وقلعة الحصن وغيرها هي أراضٍ لبنانية لا أحد ينازعها عليها". وأشار ديموش إلى أنّ "المعركة التي جرت في جرود عرسال كانت بقرار لبناني ليس له علاقة بأي جهة إقليميّة ولا بما يجري من أحداث على المستوى الإقليمي والدولي، وهي معركة وطنية بامتياز أنجزت بأيادي وجهود لبنانية، وبالتعاون والتكامل بين المقاومة والجيش ودفاعاً عن لبنان بكل طوائفه ومكوّناته وليس دفاعاً عن طائفة بعينها أو عن جهة أو حزب، و ضد مجموعات إرهابية لطالما شكّلت تهديداً حقيقياً للبنان ولكل اللبنانيين"، لافتاً إلى أنّ "الشهداء الذين سقطوا في هذه المعركة هم شهداء لبنانيون قاتلوا بالنياحة عن الجميع واستشهدوا من أجل سيادة وكرامة لبنان وليس من أجل شيء آخر". وقال: "لأن هذه المقاومة صادقة ومخلصة لبلدها وشعبها استطاعت أن تحقّق في زمنٍ قياسي وبأقل الخسائر إنجازاً نوعياً كبيراً يُضاف إلى سجل إنجازاتها وانتصاراتها". ورأى أنّ "معظم اللبنانيين وقفوا إلى جانب المقاومة التي حظيت بتأييد سياسي وشعبي واسع في هذه المعركة وبما يشبه الإجماع الوطني الذي قلماً يحصل في معارك من هذا النوع، أمّا المشكّكون فقد عزلوا أنفسهم وكنا نأمل أن تنضمّ الأصوات الشاذة إلى الإجماع والتضامن الوطني الواسع، وألا تكون خارجه وأن لا تضع نفسها في دائرة المتضرّرين من هزيمة الإرهابيين".

وفي السياق نفسه أعلن نواب حزب الله أنّ "لبنان ربح من معركة جرود عرسال أرضه، وحفظ وحدته الوطنية"، معتبرين أنّ ما أنجزه الحزب "عزّز بطريقة غير مباشرة معادلة الردع ضد الإسرائيليين، ووفّر الأمن والاستقرار ومظلة الحماية لبلدنا، وهي المظلة التي وفّرتها معادلة الجيش والشعب والمقاومة، وتكرّست في هذه المعركة أكثر فأكثر". وأكدوا أنّ "هذا الإنجاز هو إنجاز للجميع، وحزب الله ليس بوارد أن يوظّفه لتحقيق مكاسب سياسيّة أو لتغيير المعادلات السياسية الداخلية"، مشيدين بدور الجيش "الذي يتهيّئ لدور أكبر في المرحلة المقبلة، بحيث سنكون جنباً إلى جنب تنسيقاً وتخطيطاً وأداءً".

وعلى أرض الواقع لم تعد هذه الوقائع تشكّل قناعة عند فئة صغيرة من اللبنانيين، ولا هي حكر على جمهور المقاومة وحده. بلبرز تضامن واسع، عابر للقوى السياسيّة وللاصطفافات الطائفية، يعبر عن نفسه على وسائل التواصل الاجتماعي، وفي مواقف سياسييين وفنانين وناشطين ومتقنين ووسائل إعلام لا تكنّ الودّ للمقاومة أصلاً ولا لمشروعها. من ناحية أخرى بدت القوى المُعادية للمقاومة معزولة، فرفعت صوتها المشبوه والمراوغ، لكن بلا طائل. وحتى تيار المستقبل وجد نفسه محرجاً، فهرب من اتّخاذ موقفٍ واضحٍ ومباشر، نحو إطلاق المواقف المؤيِّدة للجيش، والحديث عن "لا جدوى للمعركة"، والاكتفاء بالتلّسين على المقاومة، أو محاولة شدّ عصب الجمهور المذهبي وتوجيهه بعيداً عنها، على وسائل التواصل الاجتماعي، مع إظهار التمتّي بأن تطول المعركة ليخسر "المتقاتلون جميعاً"!

من ناحية أخرى شدّد رئيس كتلة "الوفاء للمقاومة"، النائب محمد رعد، خلال احتفال تأبيني في حسينية بلدة تبنين الجنوبية، على أنّ "ما فعله المقاومون في جرود عرسال، كان مفخرة وعزاً للبنانيين جميعاً، ومن يرد أن يعرف التقويم الحقيقي لما قدّمته المقاومة في جرود عرسال، عليه أن يقرأ أولاً الإسرائيلي المذهول

والمصدوم، والذي يرى أن هزيمته محتومة إذا ما قرّر مواجهة ما في لبنان، لأن فيه مقاومة تحسن التخطيط والأداء واستخدام الأسلحة المتنوعة". وأشار إلى أن "لبنان ربح من معركة جرود عرسال أرضه، وحفظ وحدته الوطنية، واستشعر اللبنانيون المهابة والعزة والكرامة والقدرة على صنع الانتصار"، مؤكداً "أننا نعتزّ بوقفة جيشنا الوطني اللبناني، وبالدور المهم الذي أدّاه في حفظ الاستقرار في بلدة عرسال وفي طمأنة الناس وحماية مخيمات النازحين من أن تحدث فيها تحرّكات معيقة، وهو يتهيئ لدور أكبر في المرحلة المقبلة، بحيث سنكون جنباً إلى جنب تنسيقاً وتخطيطاً وأداءً".

وأضاف: "أننا نمارس قناعاتنا الوطنية التي نستمدّها من فهمنا الحضاري والديني والإنساني النبيل، ونقوم بواجبنا تجاه أهلنا ومجتمعنا ووطننا، ولا تحرّكنا طائفيات ولا مذاهبيات، بل نتعامل مع الإنسان كإنسان، فإن كان من ديننا فهو أخ لنا في الدين، وإن كان على غير ملتنا فهو نظير لنا في الخلق، وهذا هو منهجنا وطريقتنا". وأشار عضو المجلس المركزي في حزب الله، الشيخ نبيل قاووق، خلال احتفال تكريمي في حسينية بلدة تولين الجنوبية، إلى أن "الإنجاز الذي تحقّق في معركة جرود عرسال، أعطى لبنان فرصة إستثنائية وحقيقية لاستكمال استئصال وجود داعش في جرود رأس بعلبك والقاع، وهو يسهّل أمام الجيش اللبناني تحرير ما تبقى من أرض محتلة في هذه الجرود"، ورأى أن هذا الانتصار جعل لبنان "أكثر منعة وقوة أمام التهديد التكفيري، وما كان ليتحقّق لولا الموقف المقاوم لفخامة رئيس البلاد، الذي كان خير داعم ومساند لعملية تحرير جرود عرسال".

أمّا ما ظهر من انزعاج ومواقف اعتراضية من بعض الأطراف السياسية، وبالأخصّ من جانب تيار المستقبل و"القوات اللبنانية" وآخرين على عملية تحرير جرود عرسال من إرهابيي "جبهة النصرة"، فلم يكن غريباً أو مفاجئاً لكل المطلعين على استمرار هؤلاء برهاناتهم الخاطئة والمرتبطة بأجندات خارجية، ليست وليدة اليوم ولا الأمس، بل هي عبرت عن نفسها في محطات عديدة ومنذ فترة ليست بالقصيرة. ويكفي الإشارة في هذا السياق إلى ما أكّدته الوقائع خلال عدوان تموز في العام ٢٠٠٦ عندما تبوّأ رئيس كتلة المستقبل، فؤاد السنيرة، الشروط الأميركية - الإسرائيلية التي كان يعمل لها العدو عبر وزيرة الخارجية الأميركية آنذاك، غونداليزا رايس والسفير الأميركي جيفري فيلتمان. وفي هذا السياق كشف بعض الإعلام اللبناني عن أنه في لبنان تحمّلت المقاومة كلّ الكلام المبتذل عن مشاركتها في حرب أنكر الآخرون عليها أن يكون الإرهاب عدوها فيها، وأصروا على وصف الإرهابيين بـ"الثوار"، وقدّموا لهم أدوات الإعلام والحرب والمال وصولاً للعب على حبال التحريض وإثارة الفتنة المذهبية، لكن المقاومة بترفعها ونبل قياداتها خاضت حرب اللبنانيين جميعاً الذين هتفوا لشهدها ودمائهم الطاهرة فتلاقت القنوات الفضائية اللبنانية التي انقسمت حول المقاومة لسنوات لتزفّ شهداءها وتنبأها بانتصارها، ويقف بعض السياسيين الذين عادوها وعاندوها مرتبكين يتلعثم خطابهم فيقولوا نحن لا ننكر البعد الوطني والمحقّ للمعركة ولسنا ضدّ كلّ ما يفعله حزب الله.

لكن بقدرة قادر وبتوقيتٍ خبيثٍ ومشبوهٍ حرّك ملف النازحين السوريين في لبنان، وانتشرت مقاطع فيديو متبادلة وشائعات مسمومة وعنصرية على وسائل التواصل بين اللبنانيين والسوريين، سرت كالنار في الهشيم، بقصد تأليب الشعبين على بعضهما البعض، وتهيج مشاعر الحقد والضغينة بينهما إلى الحدود القصوى، في لحظة مفصليّة وحساسة يشهدها الميدان السوري، الذي أبرز انتصارات استراتيجية غير مسبوقه للجيش السوري وحلفائه منذ شهر حزيران من هذا العام. والغرف السوداء تحرّكت سريعاً لأنّ المطلوب إحداث فتنة عشواء تحرق الطرفين على حدّ سواء، تزامناً مع تحريك جمر المخيمات الفلسطينية، على أن تدخل "ضربات إسرائيلية" ضد مواقع حزب الله في الجرود، ينفذ من خلالها إرهابيو "النصرة" للدخول على الخط والزحف نحو عرسال وما بعدها، بما يفضي إلى فرض واقع خطير في لبنان يكبل أيدي المقاومة، ويكشف ظهر الجيش السوري في الجانب الآخر، وبالتالي يعيد الأمور الميدانية في سورية إلى المربع الأول.

معلومات صحافية لبنانية كشفت أيضاً عن أن حزباً لبنانياً فاعلاً، معادياً للمقاومة، نسّق مع جهات إقليمية معادية هذا السيناريو من ألفه إلى يائه، بقصد إشعال فتيل تقايل دموي بين اللبنانيين والسوريين في لبنان ليصار إلى تحقيق هدف يتمثل بالمطالبة بقوات دولية تعقب جلسة طارئة لمجلس الأمن، وقد يفهم من هنا "لغز" الحراك الأميركي المشبوه في لبنان، بهدف استحداث قاعدة عسكرية أميركية في مطار رياق، إلا أن حزب الله نسف السيناريو المزعم، واستبق بدء عملياته في الجرود بضربات استباقية بدت لافتة جداً، عبر تعاونه مع مخابرات الجيش اللبناني، في اجتثاث رؤوس وخلايا إرهابية في المخيمات الفلسطينية، أفضت إلى تحييدها، ما شكّل للمقاومين مظلة أمنة خلال عملياتهم، أفضت إلى هذا النصر الكاسح.

إن معركة الجرود هي معركة لا تنفصل عن المعارك الإستراتيجية التي خاضها الجيش العربي السوري وحزب الله وصولاً إلى الحدود السورية - العراقية، ولا شك في أنها شكّلت حدثاً استثنائياً كبيراً، إضافة إلى مضمونها ورسائلها ونتائجها العسكرية، "لا سيما أنها أبرزت تنسيقاً مبهراً على مدار الساعة بين ثلاثي: حزب الله والجيشين السوري واللبناني، استوقف الخبراء والمحلّين العسكريين"، وفق تعليق المحلّل السياسي التشيكي "ألف لارش"، الذي كشف عن نصر استراتيجي قادم سيُنجزه محور المقاومة قبل نهاية الصيف، يعقبه حدث سياسي كبير في سورية، يتمثل في زيارة شخصية عربية كبيرة إلى دمشق للقاء الرئيس بشار الأسد.

في مقابل ذلك برز في وسائل الإعلام العبرية غياب لافت لتغطية معركة تحرير جرود عرسال. وغياب كامل عن التلفزة العبرية، وشبه غياب أيضاً عن الصحافة المكتوبة، مع صمت لافت جداً لمعلقي الشؤون العسكرية والسياسية الذين يتلقفون أي خبر أو معلومة، بل شبه معلومة، وأيضاً تغريدة منفردة، للتعليق والتوسع في التعليق. واقتصرت المقاربة الخبرية، المقاصّة، على المواقع الإخبارية على الانترنت، بلا تعليقات، لكنها جاءت مجتزأة ومنقاة بعناية، تستأهل الإشارة إليها.

فمحلّل الشؤون الشرق أوسطية في صحيفة (هآرتس)، د. تسفي بارئيل، تناول إشكاليات الرغبة والقدرة لدى الحكومة اللبنانية في مواجهة الإرهاب على الأراضي السيادية اللبنانية، فأوضح أنه طوال السنوات الثلاث الأخيرة تصادم الجيش اللبناني مع المسلّحين الإرهابيين السوريين تكتيكياً من دون القدرة على تحقيق أي حسم عسكري معهم، لكن هذه المرّة قرّر حزب الله أخذ المبادرة والبدء بهجوم ضخم بهدف تحرير أراضي الوطن وإبعاد عناصر "القاعدة" عن لبنان. وفي سياق البلبلة الحاصلة على صعيد اتخاذ القرار الرسمي اللبناني استشهد المحلّل بقرار الحكومة اللبنانية عدم خوض مفاوضات مع النظام السوري حول إعادة نازحي عرسال، بحجة أنّ مفاوضات كهذه ستمسّ بسيادة لبنان لكونه هو المسؤول عن اللاجئين طالما هم على أرضه.

لقد كشفت المواقفة السياسية لمعركة جرود عرسال مرّة أخرى، حجم الخواء السياسي والأخلاقي الذي يعيشه قسم من لبنان واللبنانيين، والعقم الذي أصاب النقاش بين القوى السياسية التي تسير على خطّين متوازيين لا يلتقيان، إذ انقسم اللبنانيون في قراءة العملية العسكرية التي نفّذها "حزب الله" في جرود عرسال ونتائجها، بين فريقين: فريق يضع العملية العسكرية في الجرود في موقع "العمل المقدّس لتحرير الأرض"، ويستحق عليه المقاومون الثناء مع أنهم لا يطلبونه، كما لم يطلبوا من قبل ثناء على تضحياتهم لتحرير لبنان من الاحتلال الإسرائيلي عام ٢٠٠٠، وفريق يضع هذه العملية، ولو بالمنطق الكيدي العبثي، في خانة "مصادرة قرار الدولة" (وأي دولة؟)، في حين أنّ بعض المضلّلين من جمهوره، بفضل التحريض والتضليل الانتهازي السياسي، ينظر إليها باعتبارها "حرباً شيعية على السنة"، ويتعاطى بمنطق "المهزوم" الذي لا يملك قدرة على منع "محور الممانعة" من الانتصار الذي ستكون له تداعياته الداخلية اللبنانية والإقليمية بما يخصّ الجهات التي تحتضن هذا الفريق. وعلى الرغم من كل شيء فإنّ الوقائع لا تخفي نفسها: "حزب الله" انتصر في جرود عرسال، وهو حتماً لم ولن يستثمر انتصاره في الداخل اللبناني المتعقّن، وهو لم يفعل ذلك في انتصاراته الأكبر على العدو الإسرائيلي من قبل.

لقد جاء "خطاب الانتصار" لسماحة الأمين العام لـ "حزب الله" السيّد حسن نصر الله أعقل بكثير من حملات التحريض الفتويّة التي انتشرت على وسائل التواصل الاجتماعي. وهو بتاريخه النضالي المشرف كان بعيداً كل البعد عن اعتبار هذه المعركة أو سواها، معركة بين السنّة والشيعّة، بل على العكس تماماً، كان واضحاً بشكره المواقف الوطنية السنّيّة وسواها التي أزرت ودعمت معركة تطهير جرود عرسال من رجس التكفيريين المجرمين أعداء الله والدين والإنسانية. وكان أكثر وضوحاً عندما سلّط الضوء على الأذى الذي تعرّض له السنّة أكثر من غيرهم في العراق وسوريا ولبنان من "النصرة" ومن "داعش". وتبعاً لذلك، لم يكن انتصار "حزب الله" في الجرود انتصاراً مذهيباً، ولا يمكن لأي عاقل سنّي، أن يقبل بتحوّل عملية تحرير الجرود إلى انتصار على السنّة لأنّهم هم أوّل المستفيدين من ذلك أكثر من سواهم. ففي الأصل، لا تمثل "جبهة النصرة" ولا "داعش" أهل السنّة الحقيقيين، فكيف يصبح الانتصار عليهم انتصاراً على السنّة؟ وهل كانت "النصرة" و"داعش" العميلتان للصهيوني والأميركي والرجعي حاميتين لحمى أهل السنّة؟ لقد كانتا ورقتين سياسيتين قدرتين بعنوان ديني مزيف، ومجرّد حجارة شطرنج صغيرة على رقعة واسعة من الصراعات المفتعلة التي قسّمت ليبيا وكادت أن تُطيح مصر وتونس، وتمدّدت نحو العراق واليمن وعملت على تمزيق خريطتي سوريا ولبنان.

٣ - حيثيات المعركة:

منذ العام ٢٠١٥، وفي كلمة للنائب (في حينه) العماد ميشال عون أمام وفد من قضاء زحلة، أكّد أنّ "منطقة عرسال لا تزال تشكّل خطراً، نظراً إلى المساحة التي احتلّها المسلحون"، داعياً السلطة بكل وزرائها ومسؤوليها العسكريين إلى "يأخذوا القرار ويحرّروا جرود عرسال لأنّ هناك مجالاً لقيام قاعدة عسكرية كبيرة للمسلحين"، مضيفاً "الحكومة لا تزال ترفض القيام بالعملية العسكرية والجيش الذي لا يتحرّك في الحرب ينكسر ويهترئ".

والواقع أنّ الجيش اللبناني الذي كان قد خسر في شهر آب ٢٠١٤ في هجوم إرهابي "جبهة النصرة" على مراكزه شهداء ووقع له أسرى، كان يتمنّى قيادةً وضباطاً وعسكريين أن يتولّى هو تنفيذ هذا الهجوم وتحقيق هذا الانتصار. ولكن الحسابات السياسيّة المريضة بالعجز والتعصب الطائفي من جهة وضرورة التنسيق مع الجيش السوري من جهة أخرى أعاقت حركته ومنعته من أداء واجبه المقدّس لسنوات.

هكذا اكتملت الظروف الموضوعيّة والعمليّة لانطلاق المقاومة الإسلاميّة الرائدة كعادتها لأداء واجبها الوطني والأخلاقي والإنساني ولتنسف، كما هو معتاد، خلال أيام قليلة مخطّطاً ضخماً استغرق ست سنوات من العمل اللوجستي والاستخباري الشاق الذي شاركت فيه إسرائيل وقوى محليّة ودول عربيّة ودول كبرى حليفة لها في المنطقة بهدف استنزاف المقاومة ومجتمعها المدني بحيث أنّ تل أبيب شعرت بالخيبة وبالصدمة مرة أخرى وهي تتابع الإنجاز العسكري النوعي لمقاتلي المقاومة الإسلاميّة في أعقد التتضاريس اللبنانيّة - السوريّة، بوجه مسلّحين تكفيريين تمّت تعبئتهم لسنواتٍ طوال تحضراً للمواجهة الكبرى مع حزب الله.

أيامٌ قليلةٌ إذن كانت كافية حتى يُحقّق رجال حزب الله الأشاوس تقدماً أسرع ممّا كان مخطّطاً له. فعلى الصعيد العسكري استطاع الحزب من خلال تكتيكاته العسكرية المستحدثة، بحسب الخبراء الإسرائيليين، من إظهار خبرة قتاليّة مهمّة خصوصاً في ظروف جغرافيّة تُعدّ صعبةً ومستحيلة بسبب غياب المساندة الجوية، بالإضافة إلى قيامه بإرسال عناصر متخصصّة مختلفة بهدف اختبار جهوزيتهم العمليّة. ولا يُعد هذا الأمر مفاجئاً، مقارنةً بخبرات المقاومين القتاليّة ضد العدو الصهيوني التي تعود إلى عشرات السنين، ومقارعتهم للإرهابيين التكفيريين في سوريا منذ العام ٢٠١١. ولكن عوامل عدّة كانت تشي بأنّ معركة جرود عرسال قد تكون أكثر صعوبةً وأطول مدّة ممّا حصل على أرض الواقع، حيث الجغرافيا التي تدور عليها العمليات صعبة للغاية، وشديدة الوعورة، والجزء الأكبر منها يرتفع أكثر من ٢٠٠٠ متراً عن سطح البحر، وفيها الكثير

من الوديان والتلال والهضاب والمغاور والكهوف، وبالتالي فإن طبيعة هذه المنطقة الوعرة تؤدي دوراً إيجابياً لمصلحة الإرهابيين المستحكمين في حالة دفاع، إذ تمكنهم من استغلال تضاريسها الطبيعية ليكنوا للمقاومين، مستخدمين الصواريخ الموجهة، المضادة للدروع، التي يملكون أعداداً كبيرة منها، ويوقعوا أكبر عدد ممكن من الخسائر في صفوف المهاجمين. أضف إلى ذلك، أن المقاومة تُقاتل فرقاً إرهابية تُعدّ من قوات "النخبة" بين المجموعات المسلحة في سوريا. فالإرهابيون في جرود عرسال خبروا المنطقة التي ينتشرون فيها منذ ست سنوات جيداً، وبالاستناد إلى عامل الجغرافيا والظروف القتالية لـ"النصرة"، يُمكن القول أن هؤلاء كان من المفترض بهم أن يخوضوا حرباً دفاعية طويلة وشديدة الشراسة، ضدّ المقاومة والجيش السوري الذي يُقاتلهم في الشقّ المُحتل من الأراضي السورية. مع ذلك، لا يُمكن إنكار أن المواجهات كانت عنيفة ومكلفة، لكنها انتهت لمصلحة المقاومة مع تحرير كامل جرود فليطا السورية.

لذلك فإن "صدمة النتائج" تحوّلت إلى "كارثة استراتيجية"، بحسب توصيف أحد المحللين العسكريين الإسرائيليين على القناة الثانية العبرية، الذي لم يتردد بتحذير تل أبيب من مغبة الدخول على خط المعارك التي يخوضها مقاتلو حزب الله ضدّ المسلحين "الحلفاء" في جرود عرسال، في وقتٍ كشف مصدر صحافي روسي أن جنراً سابقاً في الجيش الإسرائيلي نقل عن مسؤول أمني أردني وصفه بـ"رقيق المستوى"، معلومات تشير إلى مفاجأة "غير مسبوقة" أعدّها الحزب لإسرائيل، رداً على أي ضربة توجّه لأهداف تابعة له في الجرود، من مكان غير متوقّع على الإطلاق.

٤ - خلط الأوراق الجيوستراتيجية:

كشفت تقارير إسرائيلية عديدة، عن أن "حزب الله" نجح في معركته الأخيرة في جرود عرسال ضد "جبهة النصر"، وجاء هذا التقييم من خلال متابعة يومية دقيقة لمعارك الحزب من قبل العديد من الخبراء والمحللين العسكريين الإسرائيليين. وخرجت تقارير إسرائيلية عسكرية خاصة إلى الضوء حملت نتائج وتقييم القيادة العسكرية الإسرائيلية للمعركة التي انتصر فيها الحزب، حيث أشاد محللون عسكريون إسرائيليون بتكتيكات الحزب النوعية التي كانت الدافع الأساس لانتصاره على الجماعات المسلحة على الحدود السورية اللبنانية. ومن جهةٍ أخرى، قدّم الإعلام الإسرائيلي حدث المعارك في جرود عرسال اللبنانية، كخطوة لإعادة دراسة قدرات الحزب العسكرية والتكتيكية من جهة، وإعطاء القيادة العسكرية الإسرائيلية فرصة تقدير وتحليل للوضع السياسي والأمني الراهن الذي لا شك أنه سيؤثر على إسرائيل، من جهةٍ أخرى.

بدورها كشفت صحف إسرائيلية استناداً إلى معلومات وتقييمات قدّمها خبراء ومحللون عسكريون سابقون عن أن "حزب الله" استطاع في المعركة الأخيرة الانتصار، ليس على الصعيد العسكري فقط، بل على صعد مختلفة أبرزها على الصعيد المعنوي والنفسي، حيث استطاع الحزب رفع معنويات مقاتليه ومناصره ليس في لبنان وحده بل تعدّى ذلك الحدود اللبنانية ليصل إلى سوريا والعراق ودول أخرى. هذا عدا عن الحرب النفسية التي نجح الحزب باعتمادها ضدّ المسلحين من جهة، وإسرائيل من جهةٍ أخرى، من خلال رسائل مصوّرة وُجّهت فيها رسائل مباشرة إلى القيادة العسكرية الإسرائيلية ومن بينها رسالة شخصية إلى الناطق باسم الجيش الإسرائيلي أفيخاي أدرعي.

لقد أنتت نتائج المعارك والمواجهات بين الجيش العربي السوري الباسل، والمقاومة الإسلامية اللبنانية والقوى الصديقة من جانب، وبين المجموعات الإرهابية من جانبٍ آخر معاكسة لكل مخططات الغرب الاستعماري ومن لفت لفته، كما أنها كانت مخالفة لجميع أو هام الأنظمة الرجعية والمتخلفة في المنطقة، إذ سقطت مطامع آل سعود وآل ثاني وأردوغان وقوى الإخوان المسلمين الانتهازيين وانتهت إلى غير رجعة كل أو هامهم، ولم يبقَ أمامهم غير التسليم بالأمر الواقع والاعتراف بالهزيمة وفشلهم في تنفيذ المشروع الاستعماري الغربي المحمول على الأدوات الإرهابية وتنظيماتها الإجرامية المختلفة. كذلك، لقد تمحورت

الرهانات الصهيونية والعربية الرجعية والدولية في السنوات الأولى من الأحداث السورية على القوى التكفيرية المتوحشة، على أمل التخلّص من حزب الله وإعادة إنتاج بيئة إقليمية تُطبق واشنطن بموجبها سيطرتها على سوريا ولبنان والمنطقة، وتوفّر لتل أبيب حزاماً أمنياً إقليمياً يطلق يدها في المنطقة بأسرها وبشكلٍ أخصّ في مواجهة المقاومة في لبنان. لكن مع تبدّد هذه الآمال والأوهام، تراجعت سقف رهانات هذه الجهات إلى مستويات تطمح من خلالها إلى أن تشكل هذه القوى العميلة والمأجورة على الأقل قياداً على هامش الرّدّ والمنورة من قبل المقاومة في مواجهة أي عدوان إسرائيلي، وصولاً إلى محاولة استنزافها وإشغالها وتشنيت قدراتها على جبهات متعدّدة. ومع تهوي سلسلة "السقوف - الرهانات"، بفعل هزيمة المخطّط الأميركي - بالأصالة، والتكفيريين، كأداة في الساحة السورية، وبعد استنزاف قدراتهم، تراجع الدور الوظيفي لهذه الجماعات بما يتناسب مع الانتشار الجغرافي لكلٍ منها. وأكثر من عبّر بشكلٍ صريح ومباشر عن موقع هذا الدور في سياق الإستراتيجية الإسرائيلية، كان رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، الذي حدّر في الأمم المتحدة، وفي مناسبات أخرى أيضاً، من هزيمة داعش وترك إيران (وحلفاءها) وجهاً لوجه مع الجيش الإسرائيلي، واصفاً هذا السيناريو بأنه انتصار في المعركة وخسارة للحرب. ثم كرّر موقفاً مشابهاً عند زيارته الجولان برفقة كبار القادة العسكريين، محدّراً من أن "داعش في تراجع كبير، وإيران تحاول أن تملئ هذا الفراغ". وأيضاً رئيس الاستخبارات اللواء هرتسي هليفي الذي حدّر، في مؤتمر هرتسليا السنة الماضية، من خطورة مفاعيل القضاء على داعش، وتأثير ذلك على معادلة الصراع مع إسرائيل لصالح حزب الله وحلفائه.

في الجنوب بات دور "الحزام الأمني" لحماية إسرائيل هو العنوان الرئيس الفعلي الذي يحكم أداء هذه الجماعات المجرمة، إلى حين تبلور القرار الإقليمي والدولي بالاستغناء عنها بعد استفاد دورها ووظيفتها.

في الشرق السوري حاولت هذه القوى المشبوهة وما تزال، أداء دور العازل الذي يسعى للفصل بين ساحات محور المقاومة في لبنان وسوريا وبين عمقها العراقي والإيراني. وفي ساحات أخرى، ما زالت الحاجة إليها لمواصلة عملية استنزاف الدولة السورية وحلفائها، كجزء من أوراق الضغط والمساومة الإستراتيجية على طاولة المفاوضات. أما في الجرود اللبنانية، فقد بات الدور الوظيفي المركزي لهذه الجماعات موجهاً بشكلٍ رئيس باتجاه لبنان، خاصة بعدما فقدت التواصل مع عمقها السوري، وبات تأثيرها على الساحة السورية أكثر ضعفاً ومحدودية من أي وقت مضى.

إنطلاقاً من القالب نفسها التي تحكم المقاربة الإسرائيلية لمجمل دور هذه الجماعات على الساحة السورية، كان وما زال الرهان الإسرائيلي على أن تكون هذه الجماعات مصدر تهديد للجبهة الداخلية والخلفية لحزب الله (بحسب تعبير رئيس الأركان بيني غانتس)، ومحاولة إشغاله وفرض قيود على هامشه في المبادرة والرّدّ في مواجهة التوتّب الإسرائيلي ضد لبنان، إضافة إلى كونها ورقة يمكن للعديد من الجهات الإقليمية والدولية، وحتى بعض المحلية، توظيفها في الساحة اللبنانية كما حصل في أكثر من بلد عربي. وهنا ينبغي التذكير بأنه ليس جديداً الرهان الإسرائيلي على الجبهة الخلفية لحزب الله في الداخل اللبناني، وتحديدًا منذ خروج الجيش السوري من لبنان وتشكيل سلطة مُعادية للمقاومة سعت وتسعى دائماً لنزع سلاحها، الأمر الذي كشفه بشكلٍ صريح ومباشر رئيس الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية في حينه، ورئيس معهد أبحاث الأمن القومي الحالي، اللواء عاموس يادلين خلال مؤتمر المعهد عام ٢٠١٦، ("الأخبار" - العدد ٢٩٥٧ - ١٠ آب ٢٠١٦ - إسرائيل: أردنا ردع حزب الله فردعنا).

في ذروة الانتصارات السريعة التي حقّقها حزب الله في معركة تحرير الجرود من سيطرة تنظيم "القاعدة - جبهة النصرة"، على أن يتبعها لاحقاً تحريرها من ربة تنظيم "داعش"، من المسلّم به، وبالاستناد إلى مجمل رؤية المؤسستين السياسية والأمنية الإسرائيلية، أنّ منسوب القلق في تل أبيب بلغ مستويات متقدّمة في ضوء النتائج والتداعيات التالية:

* القضاء على سيطرة هذه الجماعات في الجرود يعني سقوط الرهان عليها كمصدر تهديد عسكري للجبهة الداخلية في لبنان. وكعامل إشغال واستنزاف وتقييد لهامش حزب الله في مواجهة أي عدوان إسرائيلي.

* سلب الجهات المُعادية للمقاومة في لبنان والمنطقة، إحدى أهم أوراق المناورة والابتزاز لديها على الساحة اللبنانية، مما سيترتب عنه إضعاف مكانة هذه الجهات، والرهان عليها، في سياق الاستراتيجية الإسرائيلية المصممة لمواجهة حزب الله.

* القلق الأكثر حضوراً في وعي وحسابات المؤسسة الإسرائيلية، لناحية تحقق السيناريو الذي استشرفته الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية، "أمان"، قبل أكثر من سنة، على لسان رئيس الجبهة الشمالية، ومن ضمنها لبنان، عندما لفت إلى أن حزب الله "تحول فعلاً إلى درع لبنان". (الأخبار - العدد ٢٨٧٠ - ٢٣ نيسان ٢٠١٦)، وهذا يعني تصدّع المخطّط الإسرائيلي الذي طالما سعى إلى أن يبدو حزب الله في الوجدان العام اللبناني كما لو أنه مشكلة، وليس عامل قوة وحصانة ومنعة، جنباً إلى جنب مع الجيش اللبناني، يحمي لبنان من الأخطار الإسرائيلية والإرهابية. ومن المؤكّد أن المعطى الذي عزّز القلق في تل أبيب، وأجهزتها الأمنية والسياسية، هو التأييد والالتفاف الشعبي الواسع حول عملية تحرير الجرود اللبنانية. يُضاف ذلك إلى معاينة إسرائيل بأسف وأسى كبيرين ضياع استراتيجيتها الخاصة بتظهير حزب الله وكأنّه يعمل خلافاً لهويته اللبنانية، وهي التي سعت وشركاؤها في الهدف، في لبنان وخارج لبنان، وبشكلٍ حثيث، لإدخالها في الوعي الجمعي اللبنانيين، لكن بلا طائل. وهذا الفشل هو نتيجة من نتائج الانتصار المُنجَز وتداعياته السلبية على إسرائيل. ولن يكون خافياً على تل أبيب تكتّل معظم اللبنانيين حول حزب الله، وتأييدهم العارم للمعركة وأهدافها، والإشادة التي قد لا تكون مسبوقاً لعامة اللبنانيين، والتي اضطرت معها حتى قيادات جهات لبنانية على خصومة مع المقاومة إلى الإنسحاق وراء المراوغة في التأييد، والاضطرار إلى مجازاة الواقع. وهذه النقطة بحدّ ذاتها تعدّ انكساراً لاستراتيجية إسرائيل وحلفائها في التحريض الممنهج لتسوية صورة وسمعة حزب الله الناصعتين.

في كل الأحوال إنّ معركة جرود عرسال ونتائجها ستفرض نفسها عاجلاً أو آجلاً على المعنيين الإسرائيليين، تماماً كما حدث مع معركة استعادة الجيش السوري وحزب الله مدينة حلب. ففي حينه، عمد المعنيون الإسرائيليون إلى الصمت الابتدائي. وبعد انتهاء المعركة وإعلان انتصار أعداء إسرائيل فيها، كرت سبحة التعليقات بوفرة، محدّرة من التداعيات السلبية الإستراتيجية لاستعادة المدينة، والتهديدات الكبرى التي تؤسّس لها، على المستوى الجيوسياسي السوري.

في المقلب الآخر شدّت الأوساط الدبلوماسية الغربية على أن انتصارات حزب الله الجيوستراتيجية المستمرة والمتواصلة من شأنها أن تخطط الأوراق والحسابات السياسية الدولية والإقليمية. وهي ستكون لها، من دون شك، تداعياتها على الوضع الداخلي اللبناني واستحقاقاته المختلفة، كما أنّ هذه الانتصارات بأبعادها العسكرية المحضة تزيد من إرباكات إسرائيل التي تجد نفسها مضطرة إلى أن يحسب قادتتها وجزالاتها ألف حساب قبل أن يفكروا بأي مغامرة عسكرية طائشة وغير محسوبة جيداً ضد لبنان، خاصة أن التكتيكات العسكرية والأسلحة النوعية الجديدة التي يستخدمها الحزب في معركة القلمون قد جعلت الخطط الإسرائيلية الموضوعية من قبل المؤسسة العسكرية الإسرائيلية لاجتياح جنوب لبنان بأرتال المدرعات وقوات المشاة وتوجيه الضربات الجوية التقليدية، قد أصبحت خططاً من دون جدوى كونها لا تأخذ في الاعتبار القدرات الهائلة الجديدة التي بات حزب الله يملكها والتي على ما يبدو هناك الكثير من المفاجآت النوعية في طياتها لا يزال غير مُعلن عنها، والتي من شأن استخدامها بشكلٍ مفاجئ في وجه إسرائيل في أي حرب مقبلة أن تقلب كل الحسابات لناحية تمكين حزب الله من تحقيق انتصار ثانٍ كبير على إسرائيل يفوق بنتائجه الإستراتيجية انتصار حرب تموز ٢٠٠٦. ومما لا شكّ فيه أن تحقيق مثل هذا الانتصار المفصلي والإستراتيجي من شأنه أن يقلب موازين القوى في كل أرجاء المنطقة، الأمر الذي لا يحتمله الكيان الصهيوني ولا حلفاؤه في المنطقة والعالم. ولعلّ منشأ هذه المقاربة الإسرائيلية هو الخشية من الإضرار بالصورة النمطية التي ما انفكت إسرائيل

تسعى إلى إلباسها لحزب الله، بوصفه جهة "إرهابية"، لا يختلف عما هو عليه تنظيم القاعدة أو تنظيم داعش. من هنا، تبرز في التغطية الخبرية الإسرائيلية تقارير عمدت، على قناتها، إلى تجهيل الجهة التي يحاربها حزب الله في جرود عرسال، مشيرة إلى أنهم "مسلحون سنّة" ينتشرون على الحدود الشرقية مع سوريا. في مقابل تركيز التقارير الإخبارية الإسرائيلية، وإن جاءت مقلّصة، على "خسائر حزب الله" وتعداد شهدائه مع تحديات متابعة من هذه الجهة تحديداً.

من هذا المنطلق نجد في المحصلة أنّ التدخّل الإسرائيلي المُستفجّل في الكثير من بقع التوتر في المنطقة سواء في سوريا أو العراق أو لبنان أو حتى اليمن، قد أصابه الكمون والصدمة والخيبة إزاء نتائج معركة جرود عرسال. ونحن نرى أنّه بالرغم من انشغال سلطات الإحتلال الإسرائيلي بأولويات الداخل وبخاصة في القدس المحتلة والمسجد الأقصى، وبمعالجة المشكلة الدبلوماسية مع الأردن، ومشكلة الفساد التي تورّط بها نتنياهو، فمن المؤكّد أن الأجهزة الأمنية والعسكرية الإسرائيلية قامت برصد مجريات معركة الجرود ونتائجها السياسية والعسكرية ودروسها الأمنية والعسكرية، وبخاصة من حيث رصد وتحليل تطوّر قدرات حزب الله التكتيكية العسكرية. وقد كسر الصمت الإسرائيلي هذا موقع "نزيفنت" nzivnet الإسرائيلي، الذي نشر تقريراً يقول أن حزب الله خاض في جرود عرسال على مدى أربعة أيام "معارك قاسية تضمّنت قصفاً مدفوعاً وحتى معارك وجهاً لوجه، بحيث يمكن رؤية الحزب يعمل كجيشٍ مدربٍ ويشغّل آليات ثقيلة مثل المدرعات وناقلات الجند المدرعة والمدفعية وقذائف الهاون وغيرها، في حين أنّ قوة الرضوان - وهي القوة المخصّصة لاحتلال الجليل في الحرب المقبلة مع إسرائيل - تنفّذ أعمال كوماندوس معقّدة مثل السيطرة على أماكن معزولة وعلى الكهوف". وأشار الموقع إلى أنّ "حزب الله أعدّ عملية عسكرية معقّدة في لبنان، وطبّقها من بدايتها وحتى نهايتها، تقريباً من دون أي مساعدة خارجية". ولفت التقرير نفسه إلى أن حزب الله لا يبدو في الفيلم كمنظمة تعمل وفق حرب العصابات، كما عرفته إسرائيل في تسعينات القرن العشرين وبداية الألفية الثالثة. "في الفيلم يمكن رؤية علمي حزب الله ولبنان يرفرفان سوياً مكان علم "القاعدة" على رأس تلة في منطقة وادي الخيل. وهذه هي صورة نصر حزب الله على الإرهاب. ليس في حلب ولا في درعا بل في عرسال، في البيت. حزب الله عاد للقتال على البيت، ويبعث إلينا إشارات أيضاً، وليس هناك أحد يستطيع أن يوقفهم".

في المجال نفسه كشفت صحيفة يديعوت أحرונوت الإسرائيلية، أنّ حزب الله أرسل رسالة شخصية إلى الناطق الرسمي باسم جيش الإحتلال، أفيخاي أدرعي، تضمّنت صورة لمقاوم من حزب الله في جرود عرسال، يرفع لافتة مكتوب عليها "نحن نتدرب في جبهة النصر، تمهيداً لاقتحام الجليل"، وانتشرت الرسالة التي تضمّنت الصورة على شبكات التواصل الاجتماعي، وبعد إرسال الحزب الصورة مباشرة للناطق الإسرائيلي على صفحته على تويتر وفيس بوك، وقد ردّ أدرعي على الصورة بضحكة كبيرة وابتسامة واسعة، وقال: "حلّتم أهلاً ونزلتم سهلاً في حلقة جديدة من مفاجاتكم الفاشلة".

والحقيقة أنّ السجال الواقع بين المقاومة الإسلامية والعدو الصهيوني، يخفي خلفه ملامح أكبر بكثير من السطحية التي ردّ بها الناطق باسم جيش الإحتلال، فهناك رسائل واضحة من الحزب يحذّر فيها دولة الإحتلال من المساهمة بشكلٍ مباشر في هذه المعركة إلى جانب الإرهابيين خاصة جبهة النصر المدعومة عسكرياً ومعلوماتياً ولوجستياً من قبل العدو. على ضوء ما تقدّم لا أحد يشكّ بأنّه قد طرأ تطور كبير في قدرات المقاومة الإسلامية العسكرية والأمنية، الأمر الذي لاحظته الخبراء العسكريون والمحللون السياسيون الإسرائيليون لناحية دقّة المعلومات التي جمعتها عن المجموعات الإرهابية المسلّحة في الجرود قبل مباشرتها العملية العسكرية، وذلك سواء عبر الاستخبارات البشرية أو التكنولوجية، وخصوصاً الطائرات المسيرة (درونز)، وكذلك تمت ملاحظة براعة التخطيط للعملية واحترافية التنسيق بين وحدات المقاومة من جهة والجيش السوري من جهة أخرى، وكذلك مع الجيش اللبناني من جهة ثالثة.

ويُحسب للمقاومة نجاعة الحرب النفسية والإعلامية التي شنتها على المجموعات المسلحة المتمثلة بجهة النصر، أو هيئة تحرير الشام كما سمّت نفسها، ممّا أسفر عن إصابة الكثير من مسلّحي الجبهة بالإحباط والانهزام المعنوي، ما أدّى إلى فرار بعضهم واستسلام البعض الآخر.

ولعلّ التطور الأبرز هو نجاح المقاومة الإسلامية في خفض التوتر الداخلي اللبناني، وتحييد الكثير من الأطراف التي كانت تعارض من باب النكد والكيد السياسي أي عملية عسكرية لتحرير جرد عرسال تحت غطاء مذهبي حيناً وسيادي مزعوم حيناً آخر، فضلاً عن حرص المقاومة على سلامة المدنيين اللبنانيين من مواطني بلدة عرسال أو النازحين السوريين المقيمين في مخيمات البلدة، وذلك بالتنسيق مع الجيش اللبناني والفعاليات المحلية.

وبالعودة إلى القلق الإسرائيلي من تنامي قدرات حزب الله العسكرية ومهارات كوادره ومقاتليه في سوريا، نذكر كيف كانت إسرائيل، حكومة وجيشاً واستخبارات وإعلاماً، تتابع معركة تحرير المقاومة لبلدة القصير في سوريا، وغيرها من المعارك الأخرى التي خاضها الحزب في سوريا، من دمشق وريفها إلى حمص وحلب وحلب وتدمر ودير الزور.

ولم يعد سراً الخوف الإسرائيلي من حضور حزب الله في جنوب سوريا وتهديده للكيان الإسرائيلي، لقربه من الجولان السوري المحتل ومستوطنات الجليل في فلسطين المحتلة، ما يجعل في حسابات الإسرائيلي أن المعركة المقبلة مع حزب الله لن تقتصر على الحدود مع لبنان بل ستمتدّ إلى الحدود مع سوريا، بل ربما تكون المعركة الرئيسية من سوريا، من القنيطرة والقصير والقلمون وغيرها من المناطق السورية. وقبل فترة وجيزة نشرت صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية تقريراً عسكرياً يكشف مدى القلق الإسرائيلي من مستجدات المعارك على طول الحدود العراقية السورية، والتي رأت أنها تعزّز قوة حزب الله لوجستياً وعسكرياً في المنطقة، باعتبار أن نجاح الجيشين العراقي والسوري بالانتقال إلى الحدود بين الدولتين والسيطرة على المنطقة الحدودية سيسمح بإقامة ممرّ بريّ استراتيجي سيمكّن حزب الله من استخدامه لنقل العتاد والأسلحة والقوات والإمدادات المختلفة.

وأشارت الصحيفة الإسرائيلية إلى أنّ إقصاء "داعش" عن الحدود العراقية السورية مكّن قوات الحشد الشعبي من الاستيلاء على مواقع ومناطق استراتيجية وبينها المنطقة الصحراوية غربي الموصل القريبة من سوريا، حيث أكّدت الاستخبارات الإسرائيلية على مدى أهمية تلك المنطقة إذ نقلت "هآرتس" عن المدير العام لوزارة شؤون الاستخبارات الإسرائيلية، حغاى تسوريليل، قوله أنّ "الحدود بين سوريا والعراق هي المكان الأهم في المنطقة الآن، وهناك ستحدد صورة الوضع الإقليمي".

وأشارت التقديرات الإسرائيلية إلى أنّه في حال سيطر الجيش السوري على المناطق الحدودية المقابلة للأردن وأصبح هناك إمكانية لعودة الجيش السوري إلى مواقعه في هضبة الجولان المحتلة، فإنّ هذه التطورات ستكون كفيلة بتغيير المسارات الجيوستراتيجية في المنطقة في السنوات المقبلة.

لقد هدّد أمين عام حزب الله سماحة السيد حسن نصر الله بأن صواريخ حزب الله قادرة على الوصول إلى جميع أراضي فلسطين المحتلة، وفي هذا السياق يأتي التهويل الإسرائيلي المستمر من مخاطر نقل شحنات سلاح استراتيجي من إيران وسوريا إلى حزب الله، وخصوصاً الصواريخ بعيدة المدى والدقيقة، وصولاً إلى التحذير من مخاطر إنشاء مصنع للصواريخ الدقيقة في داخل لبنان. وقد كرّر رئيس أركان الجيش الإسرائيلي ورئيس شعبة الاستخبارات الإسرائيلية "أمان" وغيرهما من المسؤولين الإسرائيليين مراراً خلال السنتين الأخيرتين من أن حزب الله يعتبر التهديد الأكبر على إسرائيل، برغم انشغاله في الحرب السورية، مشيرين إلى تنامي ترسانته الصاروخية بعيدة المدى وشديدة الدقّة، فضلاً عن تجربته القتالية وخاصة الهجومية ضد الجماعات التكفيرية المسلحة في سوريا، إلى المفاجآت التي يخبئها في التصدي لأي عدوان صهيوني مقبل. فرئيس هيئة الأركان الإسرائيلي، الجنرال غادي أيزنكوت، قال خلال مؤتمر دراسي بمناسبة ذكرى مرور ١١

عاماً على "حرب لبنان الثانية"، أي عدوان تموز ٢٠٠٦، أنّ حزب الله والجبهة الشمالية لا يزالان يتصدّران أولويات الجيش الإسرائيلي، مشيراً إلى أنه برغم الخسائر التي تكبّدها حزب الله "والمشاكل الاقتصادية والمعنوية التي يواجهها، وفقدانه قائدين كبيرين خلال السنوات السبع الأخيرة، فإنّ حزب الله قد اكتسب خبرة في ميادين القتال التي شارك فيها، والجيش الإسرائيلي لا يغض النظر عن هذا".

على الرغم من كل شيء، يبقى السؤال حول الخطة الأميركية - الإسرائيلية المضادة التي سيعمل عليها الطرفان بعد فشل هذه الجماعات الإجرامية مرحلياً في تحقيق المؤمل منها، لكنها ستبقى تعرض نفسها في سوق النخاسة الدولي عسى أن تجد من يشتري خدماتها التخريبية المتوحّشة سعياً لإنجاز مخطّط الشرق الأوسط الكبير الخادم للصهيونية والقائم على تمزيق الأمة وهدر قواها وطاقتها.

خاتمة:

لقد كشف انتصار حزب الله في معركة جرود عرسال، بظروفها ونتائجها، سموّ المكانة النضالية الوطنية التي بلغها على مختلف الصعد المحليّة والإقليميّة والدوليّة. فعلى المستوى الدولي، تمكّن الحزب من تحريك ملفّه الملقّق في العديد من الدول الغربية التي صنّفته زوراً وبهتاناً على أنه منظمة إرهابية. وبعد الجولة الإعلامية التي نظّمها الحزب للصحافيين الأجانب إثر انتصاره في المعركة، أنجز عملية إعادة إنعاش وتقويم للرأي العام الغربي الذي كان ينظر للحزب كمنظمة إرهابية إلى اعتباره منظمة تقاوم الإرهاب نفسه.

أمّا على صعيد الشرعيّة الوطنية، فقد استطاع الحزب استمالة العديد من السياسيين المتردّدين الذين أيّدوه في هذه المعركة الطاحنة ضد التكفيريين، واعتبروا أنه يقوم بتحرير لبنان وحماية أراضيهم وإبعاد الإرهاب عن اللبنانيين وبهذا كسب شرعيّة داخلية أكبر. وبدا الأثر الوطني العميق لذلك جلياً في تداعيات المعركة على المستوى الشعبي، إذ حقّقت إجماع جمهور الثنائية الشيعية بتأييد رئيس مجلس النواب نبيه بري لها، وحازت تأييد التيار الوطني الحر الذي يتزعمه سياسياً رئيس الجمهورية، ميشال عون، فضلاً عن بقية الحلفاء المسيحيين لحزب الله والكثير من عناصر الأغلبية اللبنانية الصامتة.

في المقابل، لم يُظهر تيار المستقبل ولا القوات اللبنانية وبقية حلفائهما، على الأقل فور ظهور الانتصار، اعتراضاً حقيقياً مباشراً على خطوة حزب الله التحريرية، وتمسّكوا باجترار موقف افتراضي عبثي يتكلّم عن تفضيلهم أن يقوم الجيش اللبناني بهذه العملية. وعلى الرغم من أنهذه المعركة شهدت تنسيقاً جيداً أكثر من أي وقت مضى، بين الجيش اللبناني وحزب الله، يتجاوز الذي كان بين الطرفين إبان معركة صيدا ضدّ الإرهابي أحمد الأسير، إذ هو أشبه بتنسيق بين قيادة جيشين على أرض واحدة. وهذا الانسجام العسكري هو انعكاس للتغيّرات الأخيرة الذي عرفتها الساحة السياسية اللبنانية، إذ باختيار الجنرال، ميشال عون، رئيساً للجمهورية تعزّزت علاقة حزب الله مع القوى العسكرية والأمنية. وعلى هذا الأساس يمكن الحديث عن إعادة تأكيد وتثبيت المعادلة الثلاثية الذهبية "الجيش والشعب المقاومة" التي كان يحرص حزب الله على ترسيخها سياسياً وحكومياً خدمةً لأمن الوطن والمواطنين، حتى وصف رئيس مجلس النواب نبيه بري هذه الثلاثية بـ"الماسية"، بما يعكس مدى تطور العلاقة بين الجيش وحزب الله، والتي أصبحت أمراً واقعاً بتحالف الحزب مع رئيس الجمهورية ولا تحتاج لإدراجها في أي وثيقة أو بيان حكومي، ممّا يؤكّد على قبول الشعب اللبناني بكل طوائفه بهذه المعادلة وخاصة القبول بدور حزب الله في حماية الحدود مع سوريا بوجه التكفيريين كما يقوم بالدور نفسه على الحدود مع كيان العدو الإسرائيلي.

من ناحية أخرى شدّد رئيس مجلس النواب الأستاذ نبيه بري على أنّ الانتصار الذي حصل في جرود عرسال "يوازي لا بل يضيف من الناحية الوطنية على انتصار تموز ٢٠٠٦". وشدّد بري على أنّ "الجيش اللبناني يمتلك كل المقومات التي تمكّنه من استكمال معركة تطهير الجرود الشرقيّة من الإرهاب لاسيّما الجزء المتبقّي الذي لا زال تحت سيطرة تنظيم داعش"، موضحاً: "الحمد لله جيشنا من أفضل الجيوش في

المنطقة، وأثبت كفاءة قتالية عالية في حربه على الإرهاب". وتابع: "اليوم ثبت بالدليل القاطع أن أشرف عمل وطني هو الدفاع عن الوطن وتحرير الأرض، وهذا ما قامت به المقاومة في الدفاع وتحرير الأرض، وإذا أردنا أن نصف أحداً بالوطنية علينا أن نسأله أين قاتلت؟ وماذا حررت؟ وما هو موقعك من الجهاد من أجل حماية الوطن؟ بكل وضوح نحن لا نحتاج لشهادة من أحد فوطنيتنا بدماء شهدائنا وانتصار اتنا نور ساطع، فليبحث الآخرون عن شهادة في الوطنية لأن هناك علامات استفهام كثيرة بسبب بعض المواقف".

أمّا الشيخ نعيم قاسم فقال: "هذا النصر هو نصر لكل بيت، وهو أمل لكل مستضعف. يؤمن هذا النصر المزيد من الإستقرار السياسي والأمني للبنان، وهذا ما سينعكس إن شاء الله على الوضع الإقتصادي والاجتماعي وعلى مستقبل البلد، هل لفتكم أن لبنان البلد الوحيد الذي استطاع أن يكون في قلب أزمة سوريا وتداعيات هذه الأزمة على العراق وغيرها، مستقراً وأمناً. كل هذا ببركة المقاومين وبركة معادلة الجيش والشعب والمقاومة، وهذا دليل على أننا عندما نكون أقوى نأخذ قراراتنا ونصنع مستقبلنا ولا نحتاج إلى أحد أن يعطينا تعليماته". وتابع: "الآن أصبح واضحاً: لدينا منظومة عدوان متكاملة ترأسها أمريكا وإسرائيل، في مقابل منظومة مقاومة متكاملة فيها إيران وسوريا والعراق وحزب الله والآخرين، منظومة أمريكا وإسرائيل لم تدخل على بلد من بلدان منطقتنا إلا وخربته، بينما محور المقاومة أنقذ وأنجز وانتصر وبنى قوة يعتدّ بها حتى نتمكن أن نقف أمام الأعاصير ونتوقّف إلى الكثير من الإنجازات".

لا شكّ أخيراً أنّ الإنجاز الذي تحقّق في الجرد هو مجرد محطة أولى للإنجاز الكبير الذي باتت ملامحه تتشكّل في سوريا والعراق ولبنان وسائر دول الإقليم، وهو إنجاز مرتبط بخيبة أمل إسرائيل وأميركا وأذناها، جزاء النجاح الواضح في إنهاء جبهة النصرة الإرهابية والعميلة التي تشكّل إحدى أهم الركائز الإسرائيلية الإجرامية في المنطقة والتي كان العدو يأمل من خلالها إشغال الحزب عن واجباته النضالية ضده.

إنّ تجربة السنوات الطوال من النضال والمقاومة، التي خاضها حزب الله ومقاومته الإسلامية، والتي كان آخرها تحرير جرود عرسال من التكفيريين المتوحشين المأجورين، إنّما تؤكد على حيوية وحتمية وصوابية قرار الحزب في مواجهة المشروع الأميركي الصهيوني بتجلياته الرجعية العربية وأدواته الإرهابية التقنيّة، لأنّ هذا المشروع لا يستهدف ضرب المقاومة فقط، إنّما يسعى إلى إخضاع المنطقة العربية والإسلامية برمّتها لمخطّطات التمزيق والفتنة والنهب المنظم للثروات وصولاً إلى تصفية القضية الفلسطينية وجعل كيان العدو الصهيوني هو المهيمن على المنطقة برمّتها وصولاً إلى حدود الصين.